مدارس الصحافة

وبواعث انشائها

للدكتور ليل سبنسر

عميد كلية الصحافة بجامعة سيراكوس الامريكية
والاستاذ الزائر بقسم الصحافة بجامعة القاهرة الامريكية

ان الجامعات الاميركية في طليعة جامعات العالم اهتماماً بالصحافة وتدريسها كفن من الفنون الهامة . وقد دعاها الى ذلك سببان رئيسان هما : (١) قوة الصحافة ومنزلتها الاجتماعية . (٢) حاجة الصحافة والنشر في العصر الآلي الحديث الى دراية فنية ودربة عملية

منذ سنوات قليلة أخرج الاستاذ اوجبرن (Ogburn) بجامعة شيكاغو كتاباً عنوانهُ « التطور الاجتماعي » نبه فيه الافكار الى حقيقة جديرة بالتأمل هي ان المعلومات المدخرة عند اي فرد من الناس ترجع في اصلها الى عنصر اجتماعي . اي ان ما لدينا من المعلومات مأخوذ في الأصل عن غيرنا . وان قدراً ضئيلاً من تلك المعلومات مكتسبٌ بالملاحظة الفردية والاستنباط الشخصي المبتكر . وقدرة الرجل العادي على استنباط النتائج الجديدة بنفسه من غير الاستعانة بغيره قليلة لا تكاد تذكر . أو بعبارة أخرى ان الأمور الفكرية التي ينتفع بها المرء في هذه الحياة قد اشترك في تكوينها واعدادها افراد عدة بمجتمعة فنحن نعرف ما نعرفهُ لأننا تلقيناهُ عن الآخرين ، لا لأننا فكرنا فيه مستقلين . لقد درس الاستاذ اوجبرن مائة وثمانية واربعين مخترعاً من اعظم المخترعات في العصور الحديثة فلم يجد في واحد منها ابتكاراً مستقلاً تمام الاستقلال بمعنى ان صاحبه انفرد به وحده ولم يعتمد في تكوينه على افكار غيره ، بل رأى في كل حالة أن المخترع أو الكاشف كان يستعين بالمعلومات التي كان لغيره الفضل في اعدادها

وهذه الحقيقة نفسها هي التي دعت الاستاذ روس في Ross Finney بجامعة (منسوتا) الى القول بان التفوق العقلي في المرء ليس نتيجة لمجهوده الفردي ولكنهُ اثر من آثار التفكير الجمعي . ثم قال بعد ذلك أن كشف حقائق جديدة تضاف الى الحقائق القديمة عمل شريف جدير بالتقدير ولكنهُ عمل نادر الحدوث . وان الاستقلال الفكري الذي نفخر به احياناً ليس الا سراباً خداعاً لا حقيقة له

والواقع ان الآراء التي لدينا وهي التي تنسبها كثيراً الى انفسنا وصلتنا اولاً عن افراد الاسرة والمتصلين بنا ثم جاءت بعد ذلك عن طريق الصحف والكتب والمجلات . وما نأخذه عن الصحف أوفر وأكثر مما نأخذه عن الكتب والمجلات . ولا شك ان ما نتلقاه عن الزملاء والاصدقاء وغيرهم مقتبس معظمه من الصحف

فما تعلمونهُ عن القيضان في اميركا واضراب العمال هنالك قد جاءكم نبؤه في الصحف . وما تعرفونهُ عن هتلر وموسوليني وستالين نقل جمهه من الصحف . كذلك ما تسمعونه عن الحرب في اسبانيا واعمال ايطاليا في الحبشة والازمة الوزارية في اليابان كل ذلك جاءكم عن طريق الصحف . والاخبار التي تذاع كل يوم بالمذياع جمعها الصحف ونقلها الى محطات الاذاعة فقامت بنقلها اليكم . وغاية القول ان الصحافة اصبحت اقوى وسيلة لنشر الانباء والمعلومات المتداولة بين الناس . وهذه المنزلة السامية للصحف في الحياة العصرية هي التي حدت بجامعات اميركا ودفعتها الى العناية بدراسة الصحافة وانشاء مدارس خاصة لتلقين الناشئين من الطلاب والطالبات فنونها والتخصص فيها كسائر المهن الاخرى

ولا يفوتني ان اذكر ان الصحف في اميركا قوية وان الجامعات هنالك قد انشأت مدارس لها اعترافاً بفضلها على المجتمع . وقد سررت كثيراً حين علمت ان الصحف في مصر تتمتع بحريتها ولا اعتبر ذلك امتيازاً لها بل اعده حقاً من حقوقها . وأهنئكم لانكم تتمتعون بحقكم هنا في احوال تختلف عن نظائرها في بعض البلاد الاخرى كايطاليا والمانيا وروسيا . اذ لا يستطيع شعب ان يتمتع بالحكم المستقل ما لم تكن صحافته حرة تعبر عن آرائه وطرائقه التي يريدها لحكم نفسه . وتتمتعكم في مصر بالحرية الصحفية تراث ثمين يجب عليكم المحافظة عليه . هذا هو السبب الاول الذي اردت ان احدثكم عنه .

اما السبب الثاني الذي دعانا الى انشاء مدارس للصحافة في اميركا فراجع الى تعقد الحياة الاجتماعية العصرية وازدياد الوسائل الفنية للنشر والاعلان . فالحياة الفطرية الاولى لم تكن في حاجة الى تعليم رسمي منظم إذ كان الاب والام يتوليان تربية الابناء في المنزل وتعليمهم ما يلزمهم للحياة في مجتمعهم الساذج الصغير . كما هو الحال الآن في القبائل المتوحشة التي يقتصر التعليم فيها على تدريب الابناء على صيد الاسماك والحيوان والدفاع عن النفس وتعليم الفتاة شيئاً يسيراً من الطهي وطحن الحبوب وحياكة الملابس وأمثال ذلك . ولكن لما اتسعت الحياة وتقدم المجتمع اصبحت النظم اكثر تعقيداً وصار التعليم الرسمي ضرورة من ضروريات المعيشة . فالاب والام لا يستطيعان الآن اعداد ابنائهم وبناتهم لحمل هذا . ولعل الكثير منا يذكر ان معرفة المواد الثلاث القديمة وهي القراءة والكتابة والحساب كانت كافية لاعداد الطالب للحياة وعدّه مهيأً للزعامة

لقد انقضى ذلك الزمان واصبحنا في عصر تشابكت فيه المصالح وتعددت اساليب المعيشة واختلفت وسائل العمل والارتزاق ، ولا نبالغ اذا قلنا اننا في عصر لا يستطيع فيه الشاب ان يحصل على القدر اللازم لسعادته من التربية الا بعد ان يصل الى سن الثلاثين. ولقد كان هذا التزاحم على الحياة والميل الى النجاح فيها داعياً الى الاجادة والمهارة في الوسائل التي تكفل الفوز ومن اجل ذلك قال الناس بالتخصص والانقطاع الى بعض فروع العمل والتوفر عليها ليضمن الانسان الاتقان . فبدأ التخصص اولاً في الدين ثم في الطب ثم في الحقوق والهندسة وتبعها غيرها وجاء الآن دور التخصص في الصحافة . ومن الصعب ان نذكر تعليلاً صحيحاً لتأخر التخصص في الصحافة عن غيرها من المهن الاخرى وربما كان سبب ذلك الظن بأن كل فرد يحسن الكتابة وتحريك القلم وصوغ العبارات واعداد الآلات يصلح ان يكون محرراً لصحيفة او مديراً لها

ولكن الحقيقة ان التحرير والنشر يتطلبان تعليماً قيماً وثقافة حرة واسعة النواحي

فالصحفي الحديث لا بد له من الالمام التام بالتاريخ والاجتماع والاقتصاد والسياسة واللغات. ولقد رأيت بنفسي خطأ جليلة لقادة عظماء قد نقلها بعض الصحفيين ونشرها في جرائده فكانت السخط والاستهزاء من القراء لا لأن تلك الخطب معيبة او بها نقص او سوء اختيار ولكن لان أولئك الصحفيين لم يكونوا ذوي المام تام بشئون الحياة وعلم واسع يمكنهم من فهم اغراض الخطباء وصوغها بالروح السامي والعبارات اللائقة التي تحدد المعاني وتوضحها وتنقلها الى القارئين كما يريدها أولئك الخطباء . وهذا هو السبب عينه الذي يدعو الى رفع شأن بعض الصحف واسقاط غيرها فمديرو الصحيفة والمشرفون عليها هم الذين يدهم ان يكتبوا لها الحياة والذيوع او يسوقوا اليها الموت والافلاس

ولا يغيب عنا ان مهنة الصحيفة ليست مقتصرة على الاخبار والمسائل العلمية والأدبية التي تطلب منا نحن معشر الصحفيين خبرة وفهماً ولكن هناك باباً هاماً من الابواب التي تعتمد عليها الصحف وتستعين بها على الحياة والبقاء ذلك هو باب « الاعلانات » وهو باب ليس اقل شأناً واحتياجاً الى العناية والدراية من سائر الابواب الاخرى قلةً من الوسائل والاساليب الخاصة ما يدعو القراء الى الالتفات اليه. ولولا تلك الوسائل والاساليب لما اهتم به احد من الناس فيصيب الصحيفة بسبب هذا الاهمال ضرر جسيم — وهذا هو الباعث على ان بعض الناس يقرءون تلك « الاعلانات » في بعض الصحف ولا يجدون باعثاً على قراءتها في صحف اخرى

مما تقدم يتضح لنا ان تحرير الصحيفة والاشراف عليها واظهارها للناس في ثوب لائق يتطلب منا في عصرنا الحديث تخصصاً في فنون الصحافة وانقطاعاً لدراسة وسائلها كما ينقطع بعض الطلاب لدراسة الطب او الحقوق او الهندسة او غير ذلك